إبهاج الناظر
بتفسير سورة فاطر

سمير علي محمد غياث

الألوكة
www.alukah.net

إبهاج الناظر
بتفسير سورة فاطر

سمير علي محمد غياث

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة فاطر[١]

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق[٢] السموات السبع والأرض[٣]، ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾

---

(١) في روح المعاني(١١/٣٣٤): "وتسمى سورة الملائكة، وهي مكية كما روي عن ابن عباس وقتادة وغيرهما، وفي مجمع البيان قال الحسن: مكية إلا آيتين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ﴾[فاطر: ٢٩]الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتاب﴾[فاطر: ٣٢]الآية، وآيها ست وأربعون في المدني الأخير والشامي وخمس وأربعون في الباقين، والمناسبة على ما في البحر أنه عزّ وجلّ لما ذكر في آخر السورة المتقدمة هلاك المشركين أعداء المؤمنين وإنزالهم منازل العذاب تعين على المؤمنين حمده تعالى وشكره كما في قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[الأنعام: ٤٥] وينضم إلى ذلك تواخي السورتين في الافتتاح بالحمد وتقاربهما في المقدار وغير ذلك".

(٢) في تفسير ابن كثير(٦/٥٣٢): "قال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا بدأتها. فقال ابن عباس أيضًا: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ﴾ بديع السموات والأرض. وقال الضحاك: كل شيء في القرآن (فاطر السموات والأرض) فهو: خالق السموات والأرض".

وفي التحرير والتنوير(٢٢/ ١٠٨): "والفاطر: فاعل الفطر، وهو الخلق، وفيه معنى التكون سريعاً؛ لأنه مشتق من الفطر وهو الشق، ومنه ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾[الشورى:٥]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[الانفطار:١]".

(٣) في التحرير والتنوير(٢٢/١٠٨): "افتتاحها بـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مؤذن بأن صفات من عظمة الله ستذكر فيها، وإجراء صفات الأفعال على اسم الجلالة – من خلقه السماوات والأرض وأفضل ما فيها من الملائكة والمرسلين – مؤذن بأن السورة جاءت لإثبات التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم".

وفي تفسير الشعراوي(١/ ٥٣٥٥-٥٣٥٦): "والحمد لله شكر على العطاء...وكلمة ﴿الحمد لِلَّهِ﴾ تحمّل الله عنا جميعاً هذه الصيغة، وجعلها متساوية للجميع، الكل يقول ﴿الحمد لِلَّهِ﴾ البليغ يقولها، والعيي يقولها، والأُمّي يقولها.

والحمد لله استهل بها الحق سبحانه خَمْس سور من القرآن:

﴿الحمد للَّهِ رَبِّ العالمين﴾[الفاتحة: ٢]، ﴿الحمد للَّهِ الذي خَلَقَ السماوات والأرض وَجَعَلَ الظلمات والنور ثُمَّ الذين كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام:١]، ﴿الحمد لِلَّهِ الذي أَنْزَلَ على عَبْدِهِ الكتاب...﴾[الكهف:١]، ﴿الحمد للَّهِ الذي لَهُ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض وَلَهُ الحمد فِي الآخرة﴾[سبأ:١]، ﴿الحمد للَّهِ فَاطِرِ السماوات والأرض جَاعِلِ الملائكة رُسُلاً أولي أَجْنِحَةٍ﴾[فاطر:١] ولكن، لكُلِّ حَمْد في كل سورة حيثية خاصة".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه[١]﴿أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ يقول أصحاب أجنحة[٢]يعني: ملائكة، فمنهم من له اثنان من الأجنحة، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة، كما قال قتادة.[٣]

وقوله: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾، وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا المَلَك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه ذلك من هذا الآخر ما أحب، وكذلك ذلك في جميع خلقه: يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص ما شاء من خلق ما شاء، له الخلق والأمر، وله القدرة والسلطان[٤]﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ يقول: إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى.[٥]

---

(١) في تفسير القرطبي(١٤/٣٢٠): "قال يحيى بن سلام: إلى الأنبياء، وقال السدي: إلى العباد برحمة أو نقمة".
وفي التحرير والتنوير(٢٢/١١٠): "واعلم أن ماهية الملائكة...: أجسام لطيفة نورانية أخيار ذوو قوة عظيمة، ومن خصائصهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة، والعلم بما تتوقف عليه أعمالهم، ومقرهم السماوات ما لم يرسلوا إلى جهة من الأرض". وفي تفسير السعدي(ص٦٨٤): "ولما ذكر الخلق، ذكر بعده ما يتضمن الأمر، وهو: أنه ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ في تدبير أوامره القدرية، ووسائط بينه وبين خلقه، في تبليغ أوامره الدينية.
وفي ذكره أنه جعل الملائكة رسلا و لم يستثن منهم أحدا، دليل على كمال طاعتهم لربهم وانقيادهم لأمره، كما قال تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾".

(٢) في التحرير والتنوير(٢٢/١٠٩): "وقوله: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ يجوز أن يكون حالا من ﴿الْمَلَائِكَةِ﴾ فتكون الأجنحة ذاتية لهم من مقومات خلقهم، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في ﴿رُسُلًا﴾ فيكون خاصة بحالة مرسوليتهم".
وفي روح المعاني(١١/ ٣٣٦): "والظاهر أن الجناح بالمعنى المعروف عند العرب، بيد أنا لا نعرف حقيقته وكيفيته ولا نقول: إنه من ريش كريش الطائر". وأيضا في روح المعاني(١١/ ٣٣٧): "والبحث عن كيفية وضع الأجنحة شفعا كانت أو وترا فيما أرى مما لا طائل تحته و لم يصح عندي في ذلك شيء".

(٣) في التحرير والتنوير(٢٢/ ١٠٩): "والمعنى: أنهم ذوو أجنحة بعضها مصففة جناحين جناحين في الصف، وبعضها ثلاثة ثلاثة وبعضها أربعة أربعة، وذلك قد تتعدد صفوفه فتبلغ أعدادا كثيرة فلا ينافي هذا ما ورد في الحديث عن عبد الله بن مسعود: (أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح)".

(٤) في تفسير القرطبي (١٤/٣٢١): "﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ أي: في خلق الملائكة، في قول أكثر المفسرين".

(٥) في تفسير القرطبي(١٤/ ٣٢١): "﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النقصان والزيادة. الزمخشري: والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق؛ من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء، وقوة في البطش، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجرأة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان، ولباقة في التكلم، وحسن تأت في مزاولة الأمور؛ وما أشبه ذلك مما لا يحيط به وصف".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده؛ فما يفتح الله للناس من خير فلا مغلق له، ولا ممسك عنهم؛ لأن ذلك أمره، ولا يستطيع رد أمره أحد، وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم، ولا يفتحه لهم، فلا فاتح له سواه؛ لأن الأمور كلها إليه وله[(١)]. وكذا قال قتادة.

وقال تعالى ذكْره: ﴿فلا ممسك لها﴾ فأنّث «ما» لذكْر الرحمة من بعده، وقال: ﴿وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾ فذكّر للفظ «ما»؛ لأن لفظه لفظ مذكَّر، ولو أنث في موضع التذكير للمعنى، وذكّر في موضع التأنيث للفظ جاز، ولكن الأفصح من الكلام التأنيث إذا ظهر بعد ما يدل على تأنيثها، والتذكير إذا لم يظهر ذلك.[(٢)]

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ يقول: وهو العزيز في نقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته، الحكيم في تدبير خلقه، وفتحه لهم الرحمة إذا كان فتْحُ ذلك صلاحاً، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه حكمة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله

وفي التحرير والتنوير(٢٢/ ١١١): "وجملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تعليل لجملة: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾، وفي هذا تعريض بتسفيه عقول الذين أنكروا الرسالة وقالوا: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[إبراهيم:١٠]، فأجيبوا بقول الرسل: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[إبراهيم:١١]".

(١) في تفسير القرطبي(١٤/ ٣٢٢) ذكر أن من الناس من خص الرحمة هنا: بالمطر، أو الرسل، أو الدعاء، أو بالتوبة...ثم قال: "قلت: ولفظ الرحمة يجمع ذلك؛ إذ هي منكرة للإشاعة والإبهام، فهي متناولة لكل رحمة".
وهكذا قال القاسمي في تفسيره: "أي: نعمة سماوية كانت أو أرضية".

(٢) في تفسير السعدي(ص٦٨٤): "فهذا يوجب التعلق باللّه تعالى، والافتقار إليه من جميع الوجوه، وأن لا يدعى إلا هو، ولا يخاف ويرجى، إلا هو".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش: ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله﴾ التي أنعمها ﴿عليكم﴾ بفتحه لكم من خير نعمه ما فتح، وبسطه لكم من العيش ما بسط،(١) وفكروا فانظروا ﴿هل من خالق﴾ لكم سواي فاطر السموات والأرض، الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها ﴿يرزقكم من السماء والأرض﴾ فتعبدوه دونه ﴿لا إله إلا هو﴾ يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السموات والأرض، القادر على كل شيء، الذي بيده مفاتح الأشياء وخزائنها، ومغالق ذلك كله، فلا تعبدوا أيها الناس شيئا سواه، فإنه لا يقدر على نفعكم وضركم سواه، فله فأخلصوا العبادة، وإياه فأفردوا بالألوهة ﴿فأنى تؤفكون﴾ يقول: فأي وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضركم تصرفون.(٢)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور * يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذاك، ولا يعظمن عليك؛ فإن ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله من قبلهم، في تكذيبهم رسل الله التي أرسلها إليهم من قبلك(٣)،

---

(١) في تفسير القرطبي(١٤/ ٣٢٢): "معنى هذا الذكر: الشكر". وفي تفسير البيضاوي(٤/٤١٠): "احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها، وطاعة موليها".

(٢) في فتح القدير(٦/ ١٢٤): "﴿فأنى تُؤْفَكُونَ﴾ من الأفك بالفتح، وهو الصرف، يقال: ما أفكك عن كذا، أي: ما صرفك، أي: فكيف تصرفون. وقيل: هو مأخوذ من الإفك بالكسر، وهو الكذب؛ لأنه مصروف عن الصدق. قال الزجاج: أي: من أين يقع لكم الإفك والتكذيب بتوحيد الله، والبعث، وأنتم مقرّون بأن الله خلقكم ورزقكم".

وقال الرازي في مفاتيح الغيب(٢٦ /٥) عند قوله: ﴿فأنى تُؤْفَكُونَ﴾: "فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت"؟!.

(٣) في تفسير المنار(٧ / ٣١٥): "وقد ثبت بالتجارب أن التأسي يهون المصاب ويفيد شيئاً من السلوة، قالت الخنساء:

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم، فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم، ويسلكوا سبيلهم ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ يقول تعالى ذكره: وإلى الله مرجع أمرك وأمرهم، فيحل بهم من العقوبة، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا في اتباعك، والإقرار بنبوتك، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة، نظير ما أحللنا بنظرائهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك، ومنجيك وأتباعك من ذلك سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا.

قال قتادة ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك﴾: يعزي نبيه كما تسمعون.

وقوله: ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش، المكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس[٢] إن وعد الله إياكم بأسه على إصراركم على الكفر به، وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حق؛ فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبتكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله والإيمان به وبرسوله[٣] ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ يقول: فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا ورياستكم التي تترأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به[٤]﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ يقول: ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيمنيكم الأماني، ويعدكم من الله العدات الكاذبة ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله. عن ابن عباس، في قوله: ﴿ولا يغرنكم بالله

وما يكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي.

ولولا أن دفع الأسى بالأسى من مقتضى الطبع البشري لما ظهرت حكمة تكرار التسلية بأمثال هذه الآية".

(٢) في التحرير والتنوير(٢٢/ ١١٦): "أعيد خطاب الناس إعذارا لهم وإنذارا بتحقيق أن وعد الله – الذي وعده من عقابه المكذبين في يوم البعث – هو وعد واقع لا يتخلف".

(٣) في فتح القدير(٦/ ١٢٤): "﴿يا أيها الناس إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ﴾ أي: وعده بالبعث، والنشور، والحساب، والعقاب، والجنة، والنار، كما أشير إليه بقوله: ﴿وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأمور﴾".

(٤) في تفسير القرطبي(١٤/ ٣٢٣): "قال سعيد بن جبير: غرور الحياة الدنيا أن يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة، حتى يقول: يا ليتني قدمت لحياتي".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الغرور﴾ يقول: الشيطان.[١]

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ﴿إن الشيطان﴾ الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله ﴿لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ يقول: فأنزلوه من أنفسكم منزل العدو منكم، واحذروه - بطاعة الله واستغشاشكم إياه - حذرَكم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته؛ فإنه إنما يدعو حزبه، يعني شيعته، ومن أطاعه إلى طاعته والقبول منه، والكفر بالله ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ يقول: ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها.[٢]

قال قتادة، قوله: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ فإنه يحق على كل مسلم

---

(١) في تفسير القرطبي(١٤/ ٣٢٤) عن الغَرور: "فأحسن ما قيل فيه ما قاله سعيد بن جبير، قال: الغرور بالله: أن يكون الإنسان يعمل بالمعاصي ثم يتمنى على الله المغفرة".

وقال الشوكاني في فتح القدير(٦/ ١٢٤): "ومعنى الآية: لا يغرنكم الشيطان بالله، فيقول لكم: إن الله يتجاوز عنكم ويغفر لكم لفضلكم، أو لسعة رحمته لكم". **وقال الرازي**(٢٦/ ٢٢٣): "وقد ذكرنا ما فيه من المعنى اللطيف في تفسير سورة لقمان، ونعيده هاهنا فنقول: المكلف قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل سخيف الرأي؛ فيغتر بأدنى شيء، وقد يكون فوق ذلك فلا يغتر به ولكن إذا جاءه غار وزين له ذلك الشيء وهون عليه مفاسده، وبين له منافع؛ يغتر لما فيها من اللذة مع ما ينضم إليه من دعاء ذلك الغَارِّ إليه، وقد يكون قوي الجأش غزير العقل فلا يغتر ولا يُغَر؛ فقال اللّه تعالى: فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيا إشارة إلى الدرجة الأولى، وقال: وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ إشارة إلى الثانية ليكون واقعاً في الدرجة الثالثة وهي العليا فلا يُغر ولا يغتر".

(٢) وقال الرازي(٢٦/ ٦): "واعلم أن من علم أن له عدو لا مهرب له منه، وجزم بذلك فإنه يقف عنده يصبر على قتاله والصبر معه الظفر، فكذلك الشيطان لا يقدر الإنسان أن يهرب منه؛ فإنه معه ولا يزال يتبعه؛ إلا أن يقف له ويهزمه فهزيمة الشيطان بعزيمة الإنسان، فالطريق: الثبات على الجادة، والاتكال على العبادة".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عداوته، وعداوته أن يعاديه بطاعة الله ﴿إنما يدعو حزبه﴾ وحزبه: أولياؤه ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ أي ليسوقهم إلى النار، فهذه عداوته(١).

قال ابن زيد، في قوله: ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾. قال: يقول: يدعو حزبه إلى معاصي الله، وأهل معاصي الله أصحاب السعير، وقال: هؤلاء حزبه من الإنس، يقول: أولئك حزب الشيطان، قال: والحزب: ولاته الذين يتولاهم ويتولونه وقرأ: ﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: (٢)﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ﴿الذين كفروا﴾ بالله ورسوله ﴿لهم عذاب﴾ من الله ﴿شديد﴾، وذلك عذاب النار.

وقوله: ﴿والذين آمنوا﴾ يقول: والذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لهم مغفرة﴾ من الله لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ وذلك الجنة، كذا قال قتادة(٣).

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: أفمن حسّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان؛ فرآه حسناً، فحسب سيئ ذلك

---

(١) قال الرازي(٢٦/ ٦): "فلما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أمرهم بالعداوة وأشار إلى أن الطريق ليس إلا هذا وأما الطريق الآخر وهو الإرضاء فلا فائدة فيه لأنكم إذا راضيتموه واتبعتموه فهو لا يؤديكم إلا إلى السعير".

(٢) تفسير السعدي(١/ ٦٨٤): "ثم ذكر أن الناس انقسموا بحسب طاعة الشيطان وعدمها إلى قسمين، وذكر جزاء كل منهما".

(٣) في فتح القدير(٦/ ١٢٦): "وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ﴿لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ قال: كل شيء في القرآن ﴿لهم مغفرة وأجر كبير﴾ ﴿ورزق كريم﴾ فهو: الجنة". وقال ابن كثير(٦/ ٥٣٤): "لما ذكر الله تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى عذاب السعير، ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد؛ لأنهم أطاعوا الشيطان وعَصَوا الرحمن، وأن الذين آمنوا بالله ورسله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ﴾ أي: لما كان منهم من ذنب، ﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ على ما عملوه من خير".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حسناً، وظن أن قبيحَه جميل؛ لتزيين الشيطان ذلك له[١]؛ ذهبت نفسك عليهم حسرات؟! وحذف من الكلام: ذهبت نفسك عليهم حسرات، اكتفاء بدلالة قوله: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ عليه منه[٢].

وقوله: ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ يقول: فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك، ﴿ويهدي من يشاء﴾ يقول: ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك، والقبول منك، فيهديه إلى سبيل الرشاد ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ يقول: فلا تهلك نفسك حزنا على ضلالتهم وكفرهم بالله، وتكذيبهم لك.

قال قتادة والحسن﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾: الشيطان زين لهم ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ لا يحزنك ذلك عليهم، فإن الله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء.

قال ابن زيد، في قول الله: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ قال: الحسرات: الحزن، وقرأ قول الله: ﴿يا حسرة على العباد﴾ قال: يقول: نالتهم حسرة، وقرأ قول الله: ﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾.[٣]

---

(١) قال عبد الرحمن بن محمد القماش في جامع لطائف التفسير(٥/ ١٩١): "وقد وردت الزِّينة في القرآن على عشرين وجها... الثاني عشر أيضاً: زينة العصيان في أعين ذو الخذلان: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾".

وفي التفسير القيم لابن القيم(١ / ١٧٩)بعد أن ذكر أن التزيين قد يكون من الله، وقد يكون من الشيطان: "وهذا التزيين الذي من الله سبحانه حَسَن؛ إذ هو ابتلاء واختبار بعيد؛ ليتميز المطيع منهم من العاصي، والمؤمن من الكافر، كما قال تعالى: (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا)، وهو -التزيين- من الشيطان قبيح، وأيضا فتزيينه سبحانه للعبد عملَه السيئ عقوبة منه له على إعراضه عن توحيده وعبوديته، وإيثار سيء العمل على حسنه، فإنه لا بد أن يعرفه سبحانه الشيء القبيح من الحسن، فإذا آثر القبيح واختاره وأحبه ورضيه لنفسه؛ زينه سبحانه له، وأعماه عن رؤية قبحه بعد أن رآه قبيحاً...".

(٢) في تفسير البغوي(٦/ ٤١٣): "قال ابن عباس: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، وقال سعيد بن جبير: نزلت في أصحاب الأهواء والبدع، وقال قتادة: منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم، فأما أهل الكبائر فليسوا منهم؛ لأنهم لا يستحلون الكبائر. وفي الآية حذف مجازه: أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقاً كمن هداه الله فرأى الحق حقًا والباطل باطلا؟!".

(٣) في تفسير القرطبي(١٤/ ٣٢٥): "قال الكسائي...﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ فالمعنى: أفمن زين له

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ووقع قوله: ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ موقع الجواب، وإنما هو متبع الجواب، لأن الجواب هو المتروك الذي ذكرت، فاكتفى به من الجواب لدلالته على الجواب ومعنى الكلام.(١)

وقوله: ﴿إن الله عليم بما يصنعون﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهو محصيه عليهم، ومجازيهم به جزاءهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا﴾ يقول: فتنشئ سحاباً(٢) للحيا والغيث﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾ يقول: فسقناه إلى بلد مجدبة الأرض مخلى الأهل، داثر لا نبت فيه ولا زرع(٣)﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾. يقول: فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض التي سقناه إليها بعد جدوبها، وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل(٤) ﴿كذلك النشور﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا ينشر الله(٥) الموتى بعد بلائهم في قبورهم،

سوء عمله فرآه حسناً ذهبت نفسك عليهم حسرات!. قال: وهذا كلام عربي طريف لا يعرفه إلا قليل. وذكره الزمخشري عن الزجاج. قال النحاس: والذي قال الكسائي أحسن ما قيل في الآية؛ لما ذكره من الدلالة على المحذوف".

(١) قال الرازي(٢٦/ ٢٢٤): "ثم بين أن الكل بمشيئة الله، وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ وذلك لأن الناس أشخاصهم متساوية في الحقيقة والإساءة والإحسان، والسيئة والحسنة يمتاز بعضها عن بعض فإذا عرفها البعض دون البعض لا يكون ذلك باستقلال منهم، فلا بد من الاستناد إلى إرادة الله".

(٢) في تفسير القرطبي(٢/ ٢٠٠): "سمي السحاب سحاباً؛ لانسحابه في الهواء".

(٣) في تفسير الشعراوي(١/ ٧٣٩١)بتصرف: "السَّوْق: حَثٌّ بسرعة؛ ومعلوم أن السَّوْق يكون من الوراء، على خلاف القيادة فهي من الأمام، فالذي تسوقه، تسوقه وهو أمامك، تراه فلا يتفلت منك، ولو كان خلفك فهو عُرْضة لأنْ يهرب منك، فلا تشعر به. والسَّوْق مرة يكون للسحاب، كما في الآية، ومرة يكون السَّوْق للماء نفسه ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾".

(٤) في روح المعاني(١١/ ٣٧٩): "جرت سنته تعالى في إحياء الأرض بهذه الكيفية، كذلك إذا أراد سبحانه إحياء أرض القلب". سمير: لعل مثل هذا: ما جاء في سورة الحديد: ﴿ألم يأن للذين آمنوا...﴾ ثم قال بعدها: ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها...﴾ والله أعلم.

(٥) في روح المعاني(١١/ ٣٤٥): "والحقيقة أن نشر الله تعالى الميت مستعار من: نَشَر الثوب أي: بسطه، كما قال الشاعر:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيحييهم بعد فنائهم، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها[١].

عن عبد الله، قال: يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم خلق إلا وفي الأرض منه شيء قال: فيرسل الله ماء من تحت العرش منيا كمني الرجل، فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت﴾ إلى قوله: ﴿كذلك النشور﴾ قال: ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، فتنطلق كل نفس إلى جسدها، فتدخل فيه.

عن قتادة، قال: يرسل الرياح فتسوق السحاب فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء، فكذلك يبعثه يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: [٢]﴿من كان يريد العزة فلله العزة[٣] جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾:

- فقال بعضهم — كمجاهد -: معنى ذلك: من كان يريد العزة بعبادة الآلهة والأوثان؛ فإن العزة لله جميعاً.

وقال قتادة: معنى ذلك: من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله[٤].

طوتك خطوب دهرك بعد نشر *** كذاك خطوبه طيا ونشرا

والمراد بالنشور هنا إحياء الأموات في يوم الحساب".

(١) في تفسير الخازن(٣/ ٤٥٣): "أي مثل إحياء الموات؛ نشورُ الأموات".

(٢) قال الماوردي - النكت والعيون(٤/ ٤٦٤): "وقيل إن سبب نزول هذه الآية ما رواه الحسن، أن المشركين عبدوا الأوثان لتعزهم، كما وصف الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وَاتَّخَذُواْ مِن اللهِ دُونِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُم عِزّاً﴾؛ فأنزل الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فِللَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾".

(٣) في أضواء البيان(٦/ ٢٨٠): والعزة: الغلبة والقوة". **وقال الفيروزآبادي في بصائر ذوى التمييز**(١/ ١١١٨): "والعِزَّة يُمدح بها تارة، ويُذمّ بها تارة كعزة الكفّار: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، ووجه ذلك أَنَّ العزَّة لله ولرسوله هي الدّائمة الباقية، وهى العِزَّة الحقيقية، والعزَّة التي هي للكافر هي التعزُّز وهي في الحقيقة ذُلّ؛ لأنه تشبُّع بما لم يعط".

(٤) قال ابن القيم في إغاثة اللهفان(١/ ٤٨): "أي من كان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله: بالكلم الطيب والعمل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- وقال آخرون: بل معنى ذلك: من كان يريد علم العزة لمن هي؛ فإنه لله جميعاً كلها: أي كل وجه من العزة فلله.(١)

* والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزة، فبالله فليتعزز، فلله العزة جميعا، دون كل ما دونه من الآلهة والأنداد والأوثان.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب؛ لأن الآيات التي قبل هذه الآية، جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان، وتوبيخه إياهم، ووعيده لهم عليها، فأولى بهذه أيضاً أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، وكانت في سياقها.

وقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ يقول تعالى ذكره: إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ يقول: ويرفع ذِكْرُ العبدِ ربَّه إليه عمَلَه الصالح، وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه، والانتهاء إلى ما أمر به.

عن المخارق بن سليم قال: قال لنا عبد الله: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله. إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله لا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك، فجعلهن تحت جناحيه، ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن إلى وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾.(٢)

عن عبد الله بن شقيق قال: قال كعب: إن لسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله

الصالح، وقال بعض السلف: الناس يطلبون العز بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلا في طاعة الله! وقال الحسن: وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال إن ذل المعصية لفي قلوبهم أبى الله عز وجل إلا أن يذل من عصاه وذلك أن من أطاع الله تعالى فقد والاه ولا يذل من والاه ربه، كما في دعاء القنوت: إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت".

(١) في روح المعاني(١١/ ٣٤٦): "ولا ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأن ما للّه تعالى وحده العزة بالذات، وللرسول صلّى اللّه عليه وسلم العزة بواسطة قربه من اللّه تعالى، وما للمؤمنين العزة بواسطة الرسول عليه الصلاة والسلام، وكأنه للإشارة إلى ذلك أعيد الجار". سمير: أي في قوله: ﴿وللمؤمنين﴾، ولعل مثل هذا قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾، وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله...﴾والله أعلم. وقد سبق الرازيُّ في الإشارة لهذا في تفسيره(٢٦/ ٨).

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير(٥/ ١٧٦): "قال علي بن المديني: الكَلِم الطَّيِّب: لا إِله إِلا الله، والعمل الصالح: أداء الفرائض واجتناب المحارم".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أكبر، لدوياً حول العرش كدويّ النحل، يذكّرن بصاحبهن، والعمل يرفعه في الخزائن.

عن شهر بن حوشب الأشعري، قال: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب.

عن ابن عباس ﷺ قال: الكلام الطيب: ذكر الله، والعمل الصالح: أداء فرائضه؛ فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه، حمل عملُه ذكرَ الله فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله، ولم يؤد فرائضه، رُد كلامه على عمله؛ فكان أولى به. عن مجاهد، قال: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب.

عن قتادة قال: قال الحسن وقتادة: لا يقبل الله قولاً إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قَبِل الله منه.

وقوله: ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ يقول تعالى ذكره: والذين يكسبون السيئات ويعملون بها، أولئك ﴿لهم عذاب شديد﴾ بمعنى أن لهم عذاب جهنم.

عن قتادة، قوله: ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ أي: يعملون السيئات ﴿لهم عذاب شديد﴾.

قال ابن زيد، في قوله: ﴿والذين يمكرون﴾ قال: هؤلاء أهل الشرك.

وقوله: ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ يقول: وعمل هؤلاء المشركين يبور، فيبطل فيذهب؛ لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله.

عن شهر بن حوشب ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ قال: هم أصحاب الرياء.(١)

قال ابن زيد، في قوله: ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ قال: بار فلم ينفعهم، ولم ينتفعوا به، وضرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿والله خلقكم﴾ أيها الناس ﴿من تراب﴾ يعني بذلك أنه خلق أباهم

---

(١) قال ابن كثير(٦/ ٥٣٧): "وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: قال مجاهد وسعيد بن جُبَيْر وشَهْر بن حَوْشَب: هم المراؤون بأعمالهم، يعني: يمكرون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله، وهم بُغَضَاء إلى الله عز وجل، يراؤون بأعمالهم، ﴿وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا﴾.وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المشركون. والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

آدم من تراب، فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقاً[١]﴿ثم من نطفة﴾ يقول: ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة ﴿ثم جعلكم أزواجا﴾ يعني أنه زوج منهم الأنثى من الذكر. وعن قتادة مثله.

وقوله: ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ يقول تعالى ذكره: وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل، ولا تضع إلا وهو عالم بحملها إياه ووضعها، وما هو؟ ذكر أو أنثى؟ لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وقوله: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك:

- فقال بعضهم: معناه: وما يعمر من معمر فيطول عمره، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عُمِّر عمرا طويلا ﴿إلا في كتاب﴾ عنده، مكتوب قبل أن تحمل به أمه، وقبل أن تضعه، قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه، لا يزاد فيما كتب له ولا ينقص.

عن ابن عباس، قوله: ﴿وما يعمر من معمر﴾ إلى: ﴿يسير﴾ يقول: ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له، فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له، لا يزاد عليه؛ وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتب له، لا يزاد عليه فذلك قوله: ﴿ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ يقول: كل ذلك في كتاب عنده.

الضحاك، يقول في قوله: ﴿وما يعمر من معمر﴾ الآية، يقول: من قضيت له أن يعمر حتى يدركه الكبر، أو يعمر أنقص من ذلك، فكل بالغ أجله الذي قد قضى له، كل ذلك في كتاب.

قال ابن زيد، في قوله: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ قال: ألا ترى الناس الإنسان يعيش مائة سنة، وآخر يموت حين يولد؟ فهذا هذا.

---

(١) قال الشوكاني(٦/ ١٢٨): "ثم ذكر سبحانه دليلاً آخر على البعث، والنشور، فقال: ﴿والله خَلَقَكُمْ مّن تُرَابٍ﴾".
وقال الرازي في مفاتيح الغيب(٢٦/ ٩): "قد ذكرنا مراراً أن الدلائل مع كثرتها وعدم دخولها في عدد محصور منحصرة في قسمين دلائل الآفاق ودلائل الأنفس كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءايَاتِنَا فِي الآفاق وَفِى أَنفُسِهِمْ﴾ فلما ذكر دلائل الآفاق من السموات وما يرسل منها من الملائكة، والأرض وما يرسل فيها من الرياع؛ شرع في دلائل الأنفس".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالهاء التي في قوله ﴿ولا ينقص من عمره﴾ على هذا التأويل وإن كانت في الظاهر أنها كناية عن اسم المعمر الأول، فهي كناية عن اسم آخر غيره، وإنما حسن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأول، وذلك كقولهم: عندي ثوب ونصفه، والمعنى: ونصف الآخر.

- وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته، فذلك هو نقصان عمره والهاء على هذا التأويل للمعمر الأول، لأن معنى الكلام: ما يطول عمر أحد، ولا يذهب من عمره شيء فينقص إلا وهو في كتاب عبد الله مكتوب قد أحصاه وعلمه.

عن أبي مالك، في هذه الآية قال: ما ينقص من أيامه التي عددت له إلا في كتاب.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: يكتب نقص شهر، نقص شهران، نقص ثلاثة أشهر، نقص سنة، نقص سنتان، نقص ثلاث سنين، حتى يأتي على أجله فيموت.

* وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب التأويل الأول؛ وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه، وأشبههما بظاهر التنزيل.(١)

وقوله: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ يقول تعالى ذكره: إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل، طويل ذلك وقصيره، لا يتعذر عليه شيء منه.(٢)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾.

يقول تعالى ذكره: وما يعتدل البحران فيستويان، أحدهما ﴿عذب فرات﴾؛ والفرات: هو أعذب العذب ﴿وهذا ملح أجاج﴾ يقول: والآخر منهما ملح أجاج، وذلك هو ماء البحر

---

(١) قال الماوردي(٤/ ٤٦٥): "وفي عُمْر المعمَّر ثلاثة أقاويل:
أحدها: ستون سنة، قاله الحسن. الثاني: أربعون سنة. الثالث: ثماني عشرة سنة، قاله أبو غالب".

(٢) في تفسير البغوي(٦/ ٤١٦): "وقال كعب الأحبار حين حضر عمر رضي الله عنه الوفاة: والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لأخر! فقيل له: إن الله عز وجل يقول: "فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون" فقال: هذا إذا حضر الأجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزاد وينقص، وقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: كتابة الآجال والأعمال على الله هين".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأخضر؛ والأجاج: المر، وهو أشد المياه ملوحة. عن قتادة، قوله: ﴿وهذا ملح أجاج﴾ والأجاج: المر.(١)

وقوله: ﴿ومن كل تأكلون لحماً طرياً﴾ يقول: ومن كل البحار تأكلون لحما طرياً، وذلك السمك من عذبهما الفرات، وملحهما الأجاج ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها(٢)﴾ يعني: الدر والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج.(٣)

﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ يقول تعالى ذكره: وترى السفن في كل تلك البحار مواخر، تمخر الماء بصدورها، وذلك خرقها إياه إذا مرت واحدتها ماخرة يقال منه: مخرت تمخر، وتمخر مخرا، وذلك إذا شقت الماء بصدورها.

عن قتادة، قوله:...﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة.

عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ يقول: جواري.

وقوله: ﴿لتبتغوا من فضله﴾ يقول: لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معايشكم، ولتتصرفوا فيها في تجاراتكم، وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم، وما رزقكم منه من طيبات الرزق، وفاخر الحلي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما

---

(١) في التحرير والتنوير(٢٢/ ١٣٦): "والمِلح بكسر الميم: الشيء الموصوف بالملوحة بذاته لا بإلقاء ملح فيه، فأما الشيء الذي يلقى فيه الملح حتى يكتسب ملوحة؛ فإنما يقال له: مالح، ولا يقال: مِلح".

(٢) في تفسير الماوردي(٤/ ٤٦٧): "وإن لبسها النساء دون الرجال؛ لأن جمالها عائد عليهم جميعاً".

قال الشعراوي(١/ ٤٨٦٣): "والملحظ الأدق هنا أن زينة المرأة هي من أجل الرجل؛ فكأن الرجل هو الذي يستمتع بتلك الزينة".

(٣) التحرير والتنوير(٢٢/ ١٣٦): "والحلية: أي اللؤلؤ والمرجان، وهما يوجد أجودهما في بحر العجم حيث مصب النهرين، ولماء النهرين العذب واختلاطه بماء البحر المالح أثر في جودة اللؤلؤ".

وفي تفسير الشعراوي(١/ ٤٨٦٣) بتصرف يسير: "﴿وتستخرجوا حلية تلبسونها﴾ وهكذا نجد أن هذه المسألة تأخذ جهداً؛ لأنها رفاهية؛ أما السمك فقال عنه مباشرة: ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾- وهنا قال: ﴿تأكلون لحما طريا﴾-، والأكل أمر ضروري؛ لذلك تكفله الله وأعطى التسهيلات في صيده، أما الزينة فلك أن تتعب لتستخرجه، فهو ترف. وضروريات الحياة مجزولة؛ أما ترف الحياة فيقتضي منك أن تغطس في الماء وتتعب من أجله...".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يملكون من قطمير﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: يُدخل الليل في النهار، وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه، ويولج النهار في الليل، وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل؛ فأدخله فيها.

عن قتادة، قوله: يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل زيادة هذا في نقصان هذا، ونقصان هذا في زيادة هذا. وعن ابن عباس، يقول: هو انتقاص أحدهما من الآخر.(١)

وقوله: ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ يقول: وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم، ورحمة منه بكم؛ لتعلموا عدد السنين والحساب، وتعرفوا الليل من النهار.

وقوله: ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ يقول: كل ذلك يجري لوقت معلوم.

عن قتادة، قوله: ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ أجل معلوم وحد لا يقصر دونه ولا يتعداه.(٣)

وقوله: ﴿ذلكم الله ربكم﴾ يقول: الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله ربكم، وكذا قال قتادة.(٤)

وقوله: ﴿له الملك﴾ يقول تعالى ذكره: له الملك التام الذي لا ينبغي إلا وهو في ملكه

---

(١) في التحرير والتنوير(١٧/ ٢٢٧): "واستعارة الإيلاج لذلك استعارة بديعة؛ لأن تقلص ظلمة الليل يحصل تدريجاً. وكذلك تقلص ضوء النهار يحصل تدريجاً، فأشبه ذلك إيلاج شيء في شيء إذ يبدو داخلا فيه شيئاً فشيئاً".

(٣)قال ابن كثير(٦/٥٤٠): "أي: والنجوم السيارات، والثوابت الثاقبات بأضوائهن أجرام السموات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن محرر، تقديرًا من عزيز عليم". **وقال السعدي**(ص٦٥١): "إذا جاء ذلك الأجل؛ انقطع جرياهما، وتعطل سلطانهما، وذلك في يوم القيامة، حين تكور الشمس، ويخسف القمر، وتنتهي دار الدنيا، وتبتدئ الدار الآخرة".

(٤) قال الرازي(٢٦/١١): "أي ذلك الذي فعل هذه الأشياء من فطر السموات والأرض، وإرسال الأرواح، وإرسال الرياح وخلق الإنسان من تراب، وغير ذلك له الملك كله؛ فلا معبود إلا هو؛ لذاته الكامل، ولكونه ملكاً، والملك مخدوم بقدر ملكه، فإذا كان له الملك كله فله العبادة كلها".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسلطانه.

وقوله ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ يقول تعالى ذكره: والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات الذي له الملك الكامل، الذي لا يشبهه ملك، صفته ﴿ما يملكون من قطمير﴾ يقول: ما يملكون قشر نواة فما فوقها.

عن ابن عباس، في قوله: ﴿ما يملكون من قطمير﴾ قال: هو جلد النواة. وعنه: قشر النواة.

عن مجاهد، في قول الله: ﴿من قطمير﴾ قال: لفافة النواة كسحاة البيضة.

عن قتادة، في قوله: ﴿ما يملكون من قطمير﴾ والقطمير: القشرة التي على رأس النواة.

عن جويبر، عن بعض أصحابه، في قوله: ﴿ما يملكون من قطمير﴾ قال: هو القمع الذي يكون على التمرة. عن عطية، قال: القطمير: قشر النواة.(١)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾.

قوله: ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾ يقول تعالى ذكره: إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم، لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون ﴿ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾ يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم أيضا قولكم، بأن جَعل لهم سمعاً يسمعون به؛ ما استجابوا لكم؛ لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولاً متيسراً له الجواب عنه، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دوني ما كانت هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضركم، وتدَعون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم؟!.

عن قتادة، قوله: ﴿ما استجابوا لكم﴾ أي ما قبلوا ذلك عنكم، ولا نفعوكم فيه.(٢)

وقوله: ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان: ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكا في الدنيا.

---

(١) سمير: وهناك تفسيرات أخرى للقطمير؛ فالسلف مختلفون في تفسيرها، لا يكاد يجمعهم قول واحد، لكن لعلها كلها لا تخرج عن حدود النواة، والله أعلم.

(٢) قال الشوكاني(٦/١٣١): "وقيل: المعنى: لو جعلنا لهم سماعاً وحياة فسمعوا دعاءكم؛ لكانوا أطوع لله منكم، ولم يستجيبوا لكم إلى ما دعوتموهم إليه من الكفر".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن قتادة ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ إياهم، ولا يرضون، ولا يقرون به.(١)

وقوله: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين - وما يكون من أمرها وأمر عبدتها يوم القيامة، من تبرئها منهم، وكفرها بهم - مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم؛ وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون سبحانه.

عن قتادة، قوله: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ والله هو الخبير أنه سيكون هذا من أمرهم يوم القيامة.(٢)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم ، فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتنجح لديه حوائجكم(٤)﴿والله هو الغني﴾ عن عبادتكم إياه، وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء منكم ومن غيركم ﴿الحميد﴾ يعني: المحمود على نعمه، فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله

---

(١) وقال الشوكاني(٦/١٣١): "أي: يتبرّءون من عبادتكم لهم، ويقولون: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾".

(٢) في التحرير والتنوير(٢٢/١٤٠): "وقوله: ﴿وَلا وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ تذييل لتحقيق هذه الأخبار بأن المخبر بها هو الخبير بها وبغيرها ولا يخبرك أحد مثل ما يخبرك هو. وعبَّر بفعل الإنباء؛ لأن النبأ هو الخبر عن حدث خطير مهم. والخطاب في قوله: ﴿يُنَبِّئُكَ﴾ لكل من يصح منه سماع هذا الكلام".

(٤) قال السعدي(ص٦٨٧)بعد كلام جميل بيّن فيه أنواع فقر الخلق إلى ربهم: "فهم فقراء بالذات إليه بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها". وقال صاحب الكشاف(٣/ ٦٠٦): "فإن قلت: لم عرّف الفقراء؟ قلت: قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم؛ لأن الفقر مما يتبع الضعف، وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد اللّه سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله وَخُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحمد والشكر بكل حال.(١)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز * ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾.

يقول تعالى ذكره: إن يشأ يهلككم - أيها الناس - ربُكم؛ لأنه أنشأكم من غير ما حاجة به إليكم ﴿ويأت بخلق جديد﴾ يقول: ويأت بخلق سواكم يطيعونه، ويأتمرون لأمره، وينتهون عما نهاهم عنه. عن قتادة: أي ويأت بغيركم.(٢)

وقوله: ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ يقول: وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد، بل ذلك عليه يسير سهل، يقول: فاتقوا الله أيها الناس، وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك.

وقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تحمل آثمة إثم أخرى غيرها.(٣) ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ يقول تعالى: وإن

---

(١) قال صاحب الكشاف(٣/ ٦٠٦): "فإن قلت: قد قوبل الفقراء بالغنى، فما فائدة الحميد؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم - وليس كل غنى نافعا بغناه إلا إذا كان الغنيّ جواداً منعماً، فإذا جاد وأنعم؛ حمده المنعم عليهم، واستحق عليهم الحمد - ذكر الحميد ليدل به على أنه الغنى النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه".

(٢) قال الرازي(٢٦/ ١٣): "أي ليس إذهابكم موقوفاً إلا على مشيئته، بخلاف الشيء المحتاج إليه فإن المحتاج لا يقول فيه: إن يشأ فلان هدم داره وأعدم عقاره! وإنما يقول: لولا حاجة السكنى إلى الدار لبعتها...ثم إنه تعالى زاد بيان الاستغناء بقوله: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يعني: إن كان يتوهم متوهم أن هذا الملك له كمال وعظمة، فلو أذهبه لزال ملكه وعظمته؛ فهو قادر بأن يخلق خلقاً جديداً أحسن من هذا وأجمل وأتم وأكمل".

(٣) في البحر المحيط(٩/ ٢٤): "روي أن الوليد بن المغيرة قال لقوم من المؤمنين: اكفروا بمحمد وعليّ وزركم، فنزلت. ويقال: وزَرَ الشيء: حمَلَه، ووازرة: صفة لمحذوف، أي نفسٌ وازرة: حاملة، وذكر الصفة ولم يذكر الموصوف مقتصراً عليه؛ لأن المعنى: أن كل نفس لا تُرى إلا حاملة وزرها، لا وِزر غيرها، فلا يؤاخِذ نفساً بذنب نفس، كما يأخذ جبابرة الدنيا الجار بالجار، والصديق بالصديق، والقريب بالقريب...ولا منافاة بين هذه الآية والتي في العنكبوت؛ لأن تلك في الضالين المضلين يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم، فكل ذلك أثقالهم، ما فيها من ثقل غيرهم شيء. ألا ترى: ﴿وَما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾؟".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها، وتطلب ذلك؛ لم تجد من يحمل عنها شيئاً منها، ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو ابن أو أخ.

عن ابن عباس، يقول: يكون عليه وزر لا يجد أحدا يحمل عنه من وزره شيئا.

عن قتادة، ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها﴾ إلى ذنوبها ﴿لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ أي قريب القرابة منها، لا يحمل من ذنوبها شيئا، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئا.(١)

وقوله: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عذاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك، ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله؛ فهؤلاء الذين ينفعهم إنذارك، ويتعظون بمواعظك، لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون.

عن قتادة، قوله: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي يخشون النار.(٢)

وقوله: ﴿وأقاموا الصلاة﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم.

وقوله: ﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله، والإيمان به، والعمل بطاعته، فإنما يتطهر لنفسه، وذلك أنه يكسبها به رضا الله، والفوز بجنانه، والنجاة من عقابه، الذي أعده لأهل الكفر به. كما هو قول قتادة.(٣)

وقوله: ﴿وإلى الله المصير﴾ يقول: وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس: مؤمنكم وكافركم، وبركم وفاجركم، وهو مُجازٍ جميعكم بما قدم من خير أو شر على ما هو أهل منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور

---

(١) في تفسير البغوي(٦/ ٤١٧): "قال ابن عباس: يلقى الأب والأم ابنه فيقول: يا بني احمل عني بعض ذنوبي. فيقول: لا أستطيع حسبي ما علي".

(٢) في أضواء البيان(٦/ ٢٨٣): "وهذا الحصر الإضافي؛ لأنهم هم المنتفعون بالإنذار، وغير المنتفع بالإنذار كأنه هو والذي لم ينذر سواء، بجامع عدم النفع في كل منهما، وهذا المعنى جاء موضحا في آيات من كتاب الله تعالى؛ كقوله تعالى: ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب﴾".

(٣) في نظم الدرر(٦/٢١٦)بتصرف يسير: "ولما كانت النفس أميل شيء إلى الدنس، فلا تنقاد إلى أحسن تقويم إلا باجتهاد عظيم؛ قال مشيراً بأداة التفعل: ﴿ومن تزكّى﴾ أي: تطهر وتكثر بهذه المحاسن".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * إن أنت إلا نذير﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ﴿وما يستوي الأعمى﴾[١] عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿والبصير﴾ به، الذي قد أبصر فيه رشده، فاتبع محمدا وصدقه، وقبل عن الله ما ابتعثه به ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ يقول: وما تستوي ظلمات الكفر، ونور الإيمان، ﴿ولا الظل﴾ قيل: ولا الجنة ﴿ولا الحرور﴾ قيل: النار، كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار؛ والحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة.

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى، عن رؤبة بن العجاج، أنه كان يقول: الحرور بالليل، والسموم بالنهار وأما أبو عبيدة فإنه قال: الحرور في هذا الموضع والنهار مع الشمس، وأما الفراء فإنه كان يقول: الحرور يكون بالليل والنهار، والسموم لا يكون بالليل إنما يكون بالنهار.

* والصواب في ذلك عندنا: أن الحرور يكون بالليل والنهار، غير أنه يكون في هذا الموضع بأن يكون كما قال أبو عبيدة: أشبه مع الشمس؛ لأن الظل إنما يكون في يوم شمس، فذلك يدل على أنه أريد بالحَرُور: الذي يوجد في حال وجود الظل.

وقوله: ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ يقول: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، ولا الأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال؛ وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان، والكافر والكفر.

عن ابن عباس، قوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ الآية قال: هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية[٢]. يقول: وما يستوي الأعمى والظلمات والحرور، ولا الأموات، فهو

---

(١) في التحرير والتنوير(٢٢/ ١٤٨): "وقدم تشبيه حال الكافر وكفره على تشبيه حال المؤمن وإيمانه ابتداء؛ لأن الغرض الأهم من هذا التشبيه هو تفظيع حال الكافر ثم الانتقال إلى حسن حال ضده لأن هذا التشبيه جاء لإيضاح ما أفاده القصر في قوله: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾". وفي الدر المصون: "وقَدَّم الأعمى؛ لأنَّ البصيرَ فاصلةٌ فَحَسُنَ تأخيره...".

(٢) قال السعدي(ص٣٤): "فائدة: في ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للعقل، كنسبة المحسوس إلى الحس.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مثل أهل المعصية ولا يستوي البصير ولا النور ولا الظل والأحياء، فهو مثل أهل الطاعة.

عن قتادة، قوله: ﴿وما يستوي الأعمى﴾ الآية: خلقا فضل بعضه على بعض؛ فأما المؤمن فعبد حي الأثر، حي البصر، حي النية، حي العمل وأما الكافر فعبد ميت، ميت البصر، ميت القلب، ميت العمل.

قال ابن زيد في قوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير...﴾: هذا مثل ضربه الله؛ فالمؤمن بصير في دين الله، والكافر أعمى، كما لا يستوي الظل ولا الحرور، ولا الأحياء ولا الأموات، فكذلك لا يستوي هذا المؤمن الذي يبصر دينه، ولا هذا الأعمى، وقرأ: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس﴾ قال: الهدى الذي هداه الله به ونوره له هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذي يبصر دينه، وهذا الكافر الأعمى، فجعل المؤمن حيا، وجعل الكافر ميتا، ميت القلب ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه﴾ قال: هديناه إلى الإسلام كمن مثله في الظلمات أعمى القلب، وهو في الظلمات، أهذا وهذا سواء؟

وقوله: ﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾ يقول تعالى ذكره: أن الله يعظ بكتابه وتنزيله من يشاء من خلقه؛ حتى يتعظ به ويعتبر، وينقاد للحق ويؤمن به، وما أنت يا محمد بمسمع من في القبور كتاب الله، فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ كتاب الله، وبينات حججه، من كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حججه.

عن قتادة، ﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾ كما لا يسمع من في القبور، كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع.(٢)

وقوله: ﴿إن أنت إلا نذير﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ما أنت إلا

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على: بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر، وإبطال أمر".

(٢) في تفسير العز بن عبد السلام(ص٩٤٥): "كما لا تسمع الموتى؛ كذلك لا تسمع الكافر، أو لا تسمع الكافر الذي أماته الكفر حتى أقبره في كفره".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله، الذين طبع الله على قلوبهم، و لم يرسلك ربك إليهم إلا لتبلغ رسالته، و لم يكلفك من الأمر ما لا سبيل لك إليه؛ فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به، فإن ذلك بيد الله لا بيدك، ولا بيد غيرك من الناس، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن هم لم يستجيبوا لك.(١)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير * وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير * ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إنا أرسلناك﴾ يا محمد ﴿بالحق﴾ يعني: بالدين الحق وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده(٢) ﴿بشيراً﴾ يقول: مبشرا بالجنة من صدقك وقبل منك ما جئته به من عند الله من النصيحة ﴿ونذيراً﴾ تنذر النار من كذبك ورد عليك ما جئته به من عند الله من النصيحةً(٣)﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ يقول: وما من أمة من الأمم الخالية الدائنة بملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله.

عن قتادة، ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ كل أمة كان لها رسول(٤).

---

(١) في التحرير والتنوير(٢٢/ ١٥١): "﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي أنت نذير للمشابهين من في القبور ولست بمدخل الإيمان إلى قلوبهم، وهذا مسوق مساق المعذرة للنبي صلى الله عليه وسلم وتسليته إذا كان مهتماً من عدم إيمانهم. **والنذير**: المنبئ عن توقع حدوث مكروه أو مؤلم. **والاقتصار** على وصفه بالنذير لأن مساق الكلام على المصممين على الكفر".

(٢) سمير: قوله: ﴿بالحق﴾ قيل: الإسلام، وقيل: القرآن، وقيل: المعجزات.

(٣) في التحرير والتنوير(٢٢/ ١٥١): "استئناف ثناء على النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه دفع توهم أن يكون قصره على النذارة قصراً حقيقاً؛ لتُبين أن قصره على النذارة بالنسبة للمشركين الذين شابه حالهم حال أصحاب القبور".

وفي تفسير ابن عرفة(١/ ٤٠٨): "وقدم البشارة على النذارة؛ لأنّ القاعدة في محاولة الأمور الصعبة أن يبدأ فيها بالتلطّف والتيسير؛ ليكون أدعى للقبول، كما إذا كان لك جمل معك وأردت أن تدخله موضعا فإنك تسايسه بربيع تطعمه له، أو تفتل شعره أو نحو ذلك".

(٤) في تفسير السمعاني(٤/ ٣٥٥)طرفة: "وفي بعض الحكايات: أن بهلول المجنون لقي أبا يوسف القاضي، فقال له: إن الله تعالى يقول: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ وقال النبي: (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله: ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير﴾ يقول تعالى ذكره مسلياً نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقى من مشركي قومه من التكذيب: ﴿وإن يكذبك﴾ يا محمد مشركو قومك، ﴿فقد كذب الذين من قبلهم﴾ من الأمم الذين ﴿جاءتهم﴾ رسلنا ﴿بالبينات﴾ يقول: بحجج من الله واضحة ﴿وبالزبر﴾ يقول: وجاءتهم بالكتب من عند الله.

عن قتادة، قوله: ﴿بالبينات وبالزبر﴾ أي الكتب.

وقوله: ﴿وبالكتاب المنير﴾ يقول: وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبره أنه الحق.(٢)

وقوله: ﴿ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا، وحقيقة ما دعوهم إليه من آياتنا، وأصروا على جحودهم ﴿فكيف كان نكير﴾ يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييري لهم، وحلول عقوبتي بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾.

يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء ﴿ماء﴾: غيثاً، ﴿فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها﴾. يقول: فسقيناه أشجاراً في الأرض، فأخرجنا به(٤) من تلك الأشجار

فما نذير الكلاب؟! فتحير أبو يوسف؛ فأخرج حَجَراً من كمه وقال: هذا نذير الكلاب"!!.

(٢) قال السعدي(ص٦٨٨): "﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾أي: المضيء في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فلم يكن تكذيبهم إياهم ناشئاً عن اشتباه، أو قصور بما جاءتهم به الرسل، بل بسبب ظلمهم وعنادهم".

وقال القاسمي: "وليس المراد أن كل رسول جاء بجميع ما ذكر، حتى يلزم أن يكون لكل رسول كتاب، بل المراد أن بعض الرسل جاء بهذا، وبعضهم جاء بهذا".

(٤) في أضواء البيان(٤/ ٢٢) ﴿فأخرجنا به ثمرات﴾: "وهذا الالتفات – من الغيبة: ﴿أن الله أنزل﴾ إلى التكلم:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثمرات مختلفاً ألوانها، منها الأحمر، ومنها الأسود والأصفر، وغير ذلك من ألوانها[١]﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الجبال طرائق، وهي الجُدَد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، كالطرق؛ واحدها جُدَّة[٢]؛ ومنه قول امرئ القيس في صفة حمار:

كأن سراته وجُدّة متنه ... كنائن يجري فوقهن دليص

يعني بالجُدّة: الخطة السوداء تكون في متن الحمار.[٣]

وقوله: ﴿مختلف ألوانها﴾ يعني: مختلف ألوان الجدد ﴿وغرابيب سود﴾، وذلك من المقدم الذي هو بمعنى التأخير؛ وذلك أن العرب تقول: هو أسود غربيب، إذا وصفوه بشدة السواد، وجعل السواد ها هنا صفة للغرابيب.[٤]

وقوله: ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة، وغير ذلك.[٥]

﴿فأخرجنا﴾ بصيغة التعظيم...في إنبات النبات – يدل على تعظيم شأن إنبات النبات؛ لأنه لو لم ينزل الماء و لم ينبت شيء لهلك الناس جوعا وعطشا، فهو يدل على عظمته جل وعلا، وشدة احتياج الخلق إليه ولزوم طاعتهم له جل وعلا".

(١) في تفسير الخازن(٣/ ٤٥٦): "يعني: أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها، وقيل: يعني ألوانها في الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد".

(٢) قال البغوي(٦/ ٤١٩)﴿جدد بيض وحمر﴾: "طُرُق وخطط، واحدها جُدَّة، مثل: مُدَّة ومُدَد".

(٤) قال ابن كثير(٦/ ٥٤٤): "أي:و كذلك الحيوانات من الأناسي والدواب – وهو: كل ما دب على قوائم – والأنعام، من باب عطف الخاص على العام. كذلك هي مختلفة أيضا، فالناس منهم بربر وحُبُوش وطُمَاطِم – الأعجَم الذي لا يُفْصِح – في غاية السواد، وصقالبة وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك".

(٥) قال الشوكاني(٦/ ١٣٦): "وإنما ذكر سبحانه اختلاف الألوان في هذه الأشياء؛ لأن هذا الاختلاف من أعظم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن قتادة، في قوله: ﴿ثمرات مختلفا ألوانها﴾ أحمر وأخضر وأضفر ﴿ومن الجبال جدد بيض﴾ أي طرائق بيض ﴿وحمر مختلف ألوانها﴾ أي جبال حمر ﴿وغرابيب سود﴾ هو الأسود، يعني لونه، كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك.

الضحاك، يقول في قوله: ﴿ومن الجبال جدد بيض﴾ طرائق بيض، وحمر وسود، وكذلك الناس مختلف ألوانهم.(١)

وقوله: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته، فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه.

عن ابن عباس، قوله: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير.(٢)

عن قتادة، قوله: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ قال: كان يقال: كفى بالرهبة علما.

وقوله: ﴿إن الله عزيز غفور﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به، غفور لذنوب من آمن به وأطاعه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور * ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾.

الأدلة على قدرة الله، وبديع صنعه، ومعنى ﴿كذلك﴾ أي: مختلفاً مثل ذلك الاختلاف".

(١) في تفسير ابن كثير(١/ ١٩٧): "وعن الشافعي: أنه سئل عن وجود الصانع، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبعير والأنعام فتلقيه بَعَرًا وروثا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد...وقال ابن المعتز:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله *** أم كيف يجحده الجاحد

وفي كـــل شيء له آية *** تدل علـــى أنه واحد"!

(٢) في زاد المسير(٥/ ١٧٩): "يعني العلماء بالله عزَّ وجل. قال ابن عباس: يريد: إِنَّما يخافُني مِنْ خَلْقي مَنْ عَلِم جبروتي وعِزَّتي وسلطاني. وقال مجاهد والشعبي: العالِم من خاف اللّهَ. وقال الربيع بن أنس: من لم يَخْشَ اللّهَ فليس بعالِم".

وقال السمعاني(٤/ ٣٥٧): "ويقال: خف الله بقدر قدرته عليك، واستح من الله بقدر قربه منك".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول تعالى ذكره: إن الذين يقرؤون كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم[١]، ﴿وأقاموا الصلاة﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها، وقال: ﴿وأقاموا الصلاة﴾ بمعنى: ويقيموا الصلاة.

وقوله: ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ يقول: وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سراً: في خفاء، وعلانية: جهاراً، وإنما معنى ذلك: أنهم يؤدون الزكاة ذلك المفروضة، ويتطوعون أيضاً بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه.[٢]

وقوله: ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ يقول تعالى ذكره: يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور: لن تكسد ولن تهلك؛ من قولهم: بارت السوق: إذا كسدت وبار الطعام، وقوله: ﴿تجارة﴾ جواب لأول الكلام.[٣]

وقوله: ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ يقول: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يقول: وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل.[٤]

---

(١) قال السعدي(ص٦٨٩): "أي: يتبعونه في أوامره فيمتثلونها، وفي نواهيه فيتركونها، وفي أخباره، فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون أيضا ألفاظه، بدراسته، ومعانيه، بتتبعها واستخراجها".

وقال ابن عاشور في التحرير(٢٢/ ١٥٩)بتصرف يسير: "فالمراد بـ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ المؤمنون به؛ لأنهم اشتهروا بذلك وعرفوا به، وهم المراد بالعلماء. قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾. وهو أيضاً كناية عن إيمانهم؛ لأنه لا يتلو الكتاب إلا من صدق به وتلقاه باعتناء. وقد أشعر الفعل المضارع بتجدد تلاوتهم".

(٢) قال الرازي(٢٦/ ٢٠): "بَيَّنَّا أن من يُعظِّم ملكاً إذا رأى عبداً من عباده في حاجة يلزمه قضاء حاجته، وإن تهاون فيه يخل بالتعظيم، وإلى هذا أشار بقوله: (عبدي مرضت فما عدتني! فيقول العبد: كيف تمرض وأنت رب العالمين؟! فيقول الله: مرض عبدي فلان وما زرته، ولو زرته لوجدتني عنده)! يعني: التعظيم متعلق بالشفقة فحيث لا شفقة على خلق الله لا تعظيم لجانب الله".

(٣) في الدر المنثور(١٢/ ٢٨٥): "عن قتادة في قوله: ﴿يرجون تجارة﴾ قال: الجنة ﴿لن تبور﴾: لا تبيد".

(٤) روح المعاني(١١/ ٣٦٥): "﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء، وعن أبي وائل زيادته تعالى إياهم بتشفيعهم فيمن أحسن إليهم. وقال الضحاك: بتفسيح القلوب، وفي الحديث بتضعيف حسناتهم، وقيل بالنظر إلى وجهه تعالى الكريم". وفي فتح القدير(٣/ ٣٦٥) "وقيل: الزيادة: غرفة من لؤلؤ، وقيل: الزيادة: مغفرة من الله ورضوان".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله: ﴿إنه غفور شكور﴾ يقول: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم، شكور لحسناتهم.(١)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾ يا محمد، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه(٢)﴿هو الحق﴾ يقول: هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ يقول: هو يصدق ما مضى بين يديه، فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل.

عن قتادة، قوله: ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه﴾ للكتب التي خلت قبله.

وقوله: ﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير.(٣)

سمير: وهكذا حاول كثير من المفسرين تحديد ما هية هذا الفضل، لكن أرى –والعلم عند الله– أن نترك لهذه العبارة زمامها؛ وهذا هو الأكمل؛ لأن الله إذا أطلق فضله فلتقيّد كل العبارات التي تحاول تقييد ذلك الفضل، فما أعظم هذه العبارة – وأجلها وأفخمها في القلوب، وأثلجها في الصدور – حين تعبِّر هي عن نفسها: ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾!

(١) قال السمعاني(٤/ ٣٥٧): "يقال: يغفر الكثير من الذنوب، ويشكر اليسير من الطاعات". وفي التحرير والتنوير (٢٢ / ١٦١): "وفي الآية ما يشمل ثواب قراء القرآن؛ فإنهم يصدق عنهم أنهم من الذين يتلون كتاب الله ويقيمون الصلاة ولو لم يصاحبهم التدبر في القرآن؛ فإن للتلاوة حظها من الثواب والتنور بأنوار كلام الله".

(٢) قال الرازي(٢٦/ ٢١): "لما بين الأصل الأول – وهو وجود الله الواحد – بأنواع الدلائل من قوله: ﴿وَاللَّهُ الذي أَرْسَلَ الرياح﴾ وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ﴾ ذكر الأصل الثاني وهو الرسالة فقال: ﴿وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾".

وقال ابن عاشور(٢٢/ ١٦٢): "لما كان المبدأ به من أسباب ثواب المؤمنين هو تلاوتهم كتاب الله؛ أعقب التنويه بهم بالتنويه بالقرآن للتذكير بذلك، ولأن في التذكير بجلال القرآن وشرفه إيماء إلى علة استحقاق الذين يتلونه ما استحقوا...".

(٣) قال ابن كثير(٦/ ٥٤٦): "﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ أي: هو خبير بهم، بصير بمن يستحق ما يفضله به على

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى الكتاب الذي ذكر الله في هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده، ومن المصطفون من عباده، والظالم لنفسه:

- فقال بعضهم: الكتاب: هو الكتب التي أنزلها الله من قبل الفرقان، والمصطفون من عباده: أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والظالم لنفسه: أهل الإجرام منهم. كما هو مضمون قول ابن عباس.

عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا، وثلث يجيئون بذنوب عظام، حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك، فيقول الرب: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي وتلا عبد الله هذه الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾.(١)

كعب الأحبار، أن الظالم لنفسه - من هذه الأمة -، والمقتصد، والسابق بالخيرات: كلهم في الجنة؛ ألم تر أن الله قال: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ إلى قوله: ﴿كل كفور﴾.

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم﴾. قال: قال كعب: فهؤلاء أهل النار.

أن ابن عباس، سأل كعباً عن قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ إلى قوله: ﴿بإذن الله﴾ فقال: تماست مناكبهم ورب الكعبة، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

عن أبي إسحاق السبيعي، في هذه الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا﴾ قال: أما ما سمعت منذ ستين سنة، فكلهم ناج.

مَنْ سواه. ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر، وفضل النبيين بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وجعل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فوق جميعهم، صلوات الله عليهم أجمعين.".

(١) في البحر المحيط(٩/ ٣٢): "ومعنى ﴿أورثنا﴾ قال مجاهد: أعطينا؛ لأن الميراث عطاء، ثم قسم الوارثين إلى هذه الأقسام الثلاثة؛ قال مكي: فقيل هم المذكورون في الواقعة. فالسابق بالخيرات: هو المقرَّب، والمقتصد: أصحاب الميمنة، والظالم لنفسه: أصحاب المشأمة، وهو قول يُروى معناه عن عكرمة والحسن وقتادة".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن محمد ابن الحنفية، قال: إنها أمة مرحومة؛ الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله.

- وقال آخرون: الكتاب الذي أورث هؤلاء القوم، هو: شهادة أن لا إله إلا الله؛ والمصطفون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ والظالم لنفسه منهم هو المنافق، وهو في النار؛ والمقتصد، والسابق بالخيرات في الجنة.

عن ابن عباس، قوله ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ إلى آخر الآية، قال: جعل أهل الإيمان على ثلاثة منازل كقوله: ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾، ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾، ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾ فهم على هذا المثال.

عن عكرمة، ﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد﴾ الآية، قال: الاثنان في الجنة، وواحد في النار، وهي بمنزلة التي في الواقعة: ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾، ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾، ﴿والسابقون السابقون﴾.

عن مجاهد، قال: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾هم أصحاب المشأمة ﴿ومنهم مقتصد﴾ قال: هم أصحاب الميمنة ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ قال: هم السابقون من الناس كلهم.

قال الحسن وقتادة: أما الظالم لنفسه فإنه هو المنافق، سقط هذا وأما المقتصد والسابق بالخيرات، فهما صاحبا الجنة.

قال قتادة: كان الناس ثلاث منازل في الدنيا، وثلاث منازل عند الموت، وثلاث منازل في الآخرة. أما الدنيا، فكانوا: مؤمن، ومنافق، ومشرك وأما عند الموت، فإن الله قال: ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ إلى قوله: ﴿وتصلية جحيم﴾، وأما في الآخرة فكانوا أزواجا ثلاثة، ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون * أولئك المقربون﴾.

عن الضحاك في قوله: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه﴾ قال: سقط هذا ﴿ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ قال: سبق هذا بالخيرات، وهذا مقتصد على أثره.

* وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال: عنى بقوله: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اصطفينا من عبادنا﴾ الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتلون غير كتابهم، ولا يعملون إلا بما فيه من الأحكام والشرائع؟

قيل: إن معنى ذلك على غير الذي ذهبت إليه، وإنما معناه: ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا، فمنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به، لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله، وباتباع من جاء به، وذلك عمل من أقر بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به، وعمل بما دعاه إليه بما في القرآن، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله.

وإنما قلنا: عنى بقوله ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ الكتب التي ذكرنا؛ لأن الله جل ثناؤه قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه﴾ ثم أتبع ذلك قوله: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا﴾ فكان معلوماً، إذ كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين، ولم تكن أمة على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم انتقل إليهم كتاب من قوم كان قبلهم غير أمته، أن ذلك معناه وإذ كان ذلك كذلك، فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته؛ وأما الظالم لنفسه، فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك عندي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر؛ وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ فعم بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة.

فإن قال قائل: فإن قوله ﴿يدخلونها﴾ إنما عنى به المقتصد والسابق؟

قيل له: وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عقل؟ فإن قال: قيام الحجة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار، ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد وجب أن لا يكون لأهل الإيمان وعيد؛ قيل: إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عدن، وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها في الدنيا، وظلمه نفسه فيها بالنار، أو بما شاء من عقابه، ثم يدخله الجنة، فيكون ممن عمه خبر الله جل ثناؤه بقوله ﴿جنات عدن يدخلونها﴾.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا في ذلك أخبار، وإن كان في أسانيدها نظر، مع دليل الكتاب على صحته على النحو الذي بينت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن الأعمش، قال: ذكر أبو ثابت قال: دخل رجل المسجد، فجلس إلى جنب أبي الدرداء، فقال: اللهم آنس وحشتي، وارحم غربتي، ويسر لي جليسا صالحا، فقال أبو الدرداء: لئن كنت صادقا لأنا أسعد به منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته ذكر هذه الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ فأما السابق بالخيرات، فيدخلها بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا، وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن، فذلك قوله: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾.

عن الوليد بن العيزار، أنه سمع رجلاً، من ثقيف حدث عن رجل، من كنانة، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ قال: وهؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة.

وعنى بقوله: ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم.

وقوله: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ يقول: فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا، من يظلم نفسه بركوبه المآثم، واجترامه المعاصي، واقترافه الفواحش ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهو غير المبالغ في طاعة ربه، وغير المجتهد فيما لربه من خدمته، حتى يكون عمله في ذلك قصدا ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ وهو المبرز في طاعة الله الذي قد تقدم المجتهدين في خدمة ربه، وأداء ما ألزمه من فرائضه، فسبقهم بصالحات الأعمال، وهي الخيرات التي قال الله جل ثناؤه: ﴿بإذن الله﴾ يقول: بتوفيق الله إياه لذلك.[1]

---

(١) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى(٥/ ١٦١): "فالقول الجامع أن: "الظالم لنفسه" هو المفرط بترك مأمور أو فعل محظور و"المقتصد": القائم بأداء الواجبات وترك المحرمات و"السابق بالخيرات": بمنزلة المقرب الذي يتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق" سمير: وهذا لا ينافي ما رواه أبو حيان عن مكي كما ترى.

وفي تفسير البغوي(٦/ ٤٢٢-٤٢٣): "قال جعفر الصادق: بدأ بالظالمين؛ إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه، وأن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء، ثم ثنى بالمقتصدين؛ لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين؛ لئلا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة.

وقال أبو بكر الوراق: رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس؛ لأن أحوال العبد ثلاثة: معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة، فإذا عصى دخل في حيز الظالمين، وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، وإذا صحت التوبة وكثرت العبادة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله: ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ يقول تعالى ذكره: سبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله، هو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقصرا عن مترلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه.(١)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: بساتين إقامة يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب، الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ يلبسون في جنات عدن أسورة من ذهب(٢) ﴿ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾ يقول: ولباسهم في الجنة حرير.

وقوله: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ **اختلف أهل التأويل** في الحزن الذي حمد الله على إذهابه عنهم هؤلاء القوم:

- فقال بعضهم: ذلك الحزن الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار، إذ كانوا خائفين أن يدخلوها.

عن ابن عباس، في قوله: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ قال: حزن النار.

عن الحسن ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾.قال: إن المؤمنين قوم ذلل، ذلت والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى، وما بالقوم مرض، وإنهم لأصحة القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة،

والمجاهدة دخل في عداد السابقين".

(١) قال السعدي(ص٦٨٩): "وقوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ راجع إلى السابق إلى الخيرات؛ لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق اللّه تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر اللّه تعالى على ما أنعم به عليه...﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ أي: وراثة الكتاب الجليل، لمن اصطفى تعالى من عباده، هو الفضل الكبير، الذي جميع النعم بالنسبة إليه، كالعدم، فأجل النعم على الإطلاق، وأكبر الفضل، وراثة هذا الكتاب.".

(٢) قال الرازي(٢٦/ ٢٤): "قوله: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ إشارة إلى سرعة الدخول؛ فإن التحلية لو وقعت خارجاً لكان فيه تأخير الدخول فقال: ﴿يُدْخُلُونَهَا﴾ وفيها تقع تحليتهم". وفي نظم الدرر(٦/ ٢٢٨) بتصرف يسير: "ولما كان الداخل إلى مكان أول ما ينظر إلى ما فيه من النفائس قال: ﴿يحلّون فيها﴾ أي يلبسون على سبيل التزين والتحلي ﴿من أساور من ذهب ولؤلؤ﴾ ولما كانت لا تليق إلى على اللباس الفاخر؛ قال معرفاً أنهم حين الدخول يكونون لابسين: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقالوا: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾، والحزن: والله ما حزنهم حزن الدنيا، ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار، وأنه من لا يتعز بعزاء الله يقطع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب، فقد قل علمه، وحضر عذابه.

- وقال آخرون منهم عطية في قوله: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾: عنى به الموت.

- وقال آخرون منهم شمر: عنى به حزن الخبز.

- وقال آخرون . عني بذلك: الحزن من التعب الذي كانوا فيه في الدنيا.

عن قتادة، قوله: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ قال: كانوا في الدنيا يعملون وينصبون وهم في خوف، أو يحزنون.

- وقال آخرون: بل عني بذلك الحزن الذي ينال الظالم لنفسه في موقف القيامة.

عن الأعمش، قال: ذكر أبو ثابت أن أبا الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أما الظالم لنفسه، فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾.

* وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ وخوف دخول النار من الحزن، والجزع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن، ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعا دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنوع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن.[1]

وقوله: ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة: إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها، شكور لهم على طاعتهم إياه وصالح ما قدموا في الدنيا من

---

(١) قال البغوي (٦ /٤٢٣): "وقال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ، ما كان منها لمعاش أو لمعاد".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأعمال.

عن قتادة، في قوله: ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ لحسناتهم.

عن شمر ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ غفر لهم ما كان من ذنب، وشكر لهم ما كان منهم.(١)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين أدخلوا الجنة ﴿إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة﴾ أي ربنا الذي أنزلنا هذه الدار، يعنون الجنة؛ فدار المقامة: دار الإقامة التي لا نقلة معها عنها، ولا تحول؛ والميم إذا ضمت من المقامة، فهي من الإقامة؛ فإذا فتحت فهي من المجلس والمكان الذي يقام فيه، قال الشاعر:

يومان يوم مقامات وأندية ** ويوم سير إلى الأعداء تأويب

عن قتادة ﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله﴾ أقاموا فلا يتحولون.(٢)

وقوله: ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ يقول: لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ يعني باللغوب: العناء والإعياء.

عن ابن عباس، في قوله: ﴿لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ قال: اللغوب: العناء.

عن قتادة، قوله: ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ أي وجع.(٣)

---

(١) في فتح القدير(٦/ ١٤٤): "عن ابن عباس في قوله: ﴿وَقَالُواْ الحمد للَّهِ﴾الآية قال: هم قوم في الدنيا يخافون الله، ويجتهدون له في العبادة سرًّا وعلانية، وفي قلوبهم حزن من ذنوب قد سلفت منهم، فهم خائفون أن لا يتقبل منهم هذا الاجتهاد من الذنوب التي سلفت، فعندها ﴿قَالُواْ الحمد للَّهِ الذي أَذْهَبَ عَنَّا الحزن إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ غفر لنا العظيم، وشكر لنا القليل من أعمالنا".

(٢) قال الماوردي(٤/ ٤٧٥): "وفي الفرق بين المقامة بالضم والفتح وجهان: أحدهما: أنها بالضم دار الإقامة، وبالفتح موضع الإقامة. الثاني: أنها بالضم المجلس الذي يجتمع فيه للحديث". وقال ابن كثير(٦/ ٥٥٢): "يقولون: الذي أعطانا هذه المنزلة، وهذا المقام من فضله وَمَنِّه ورحمته، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك. كما ثبت في الصحيح: (لن يدخل أحداً منكم عملُه الجنة)...".

(٣) قال ابن عاشور(٢٢/ ١٦٩): "والمس: الإصابة في ابتداء أمرها، والنصب: التعب من نحو شدة حر وشدة برد. واللغوب: الإعياء من جراء عمل أو جري. وإعادة الفعل المنفي في قوله: ﴿وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ لتأكيد انتفاء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور * وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿والذين كفروا﴾ بالله ورسوله ﴿لهم نار جهنم﴾ يقول: لهم نار جهنم مخلدين فيها، لا حظ لهم في الجنة ولا نعيمها.(١)

عن قتادة ﴿لهم نار جهنم لا يقضى عليهم﴾ بالموت فيموتوا؛ لأنهم لو ماتوا لاستراحوا ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ يقول: ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم، يخفف ذلك عنهم

عن قتادة، عن أبي السوداء، قال: مساكين أهل النار لا يموتون، لو ماتوا لاستراحوا.

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، لكن ناساً - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم أو قال: بخطاياهم، فتميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، فقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون كما تنبت الحبةُ في حَمِيل السيل فقال رجل من القوم حينئذ: كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ وقد قيل في موضع آخر: ﴿كلما خبت زدناهم سعيراً﴾؟ قيل: معنى ذلك: ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب.

وقوله: ﴿كذلك نجزي كل كفور﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يكافئ كل جحود لنعم ربه يوم القيامة، بأن ندخله نار جهنم بسيئاتهم التي قدموها في الدنيا.

وقوله: ﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الكفار يستغيثون، ويضجون في النار، يقولون: يا ربنا أخرجنا نعمل صالحا: أي

المس".

(١) في التحرير والتنوير(٢٢/ ١٦٩): "مقابلة الأقسام الثلاثة للذين أورثوا الكتاب بذكر الكافرين يزيدنا يقيناً بأن تلك الأقسام أقسام المؤمنين، ومقابلة جزاء الكافرين بنار جهنم؛ يوضح أن الجنة دار للأقسام الثلاثة على تفاوت في الزمان والمكان".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نعمل بطاعتك ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ قبل من معاصيك.(١)

وقوله: ﴿يصطرخون﴾ يفتعلون من الصراخ، حولت تاؤها طاء لقرب مخرجها من الصاد لما ثقلت.(٢)

وقوله: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ **اختلف أهل التأويل** في مبلغ ذلك:

- فقال بعضهم: ذلك أربعون سنة.

عن مجاهد، قال: سمعت ابن عباس، يقول: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ أربعون سنة.

عن مسروق، أنه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة؛ فليأخذ حذره من الله.

- وقال آخرون: بل ذلك ستون سنة.عن مجاهد، عن ابن عباس عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة نودي: أين أبناء الستين، وهو العمر الذي قال الله: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾.

أبا هريرة، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولقد أعذر الله إلى صاحب الستين سنة والسبعين.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر.

عن علي، رضي الله عنه في قوله: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ قال: العمر الذي عمرهم الله به ستون سنة.

* وأشبه القولين بتأويل الآية إذ كان الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) في تفسير الكشاف(٣/ ٦١٥): "فإن قلت: هلا اكتفى بـ﴿صالحاً﴾ كما اكتفى به في قوله تعالى: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صالِحاً﴾؟ وما فائدة زيادة ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحاً آخر غير الصالح الذي عملوه؟ قلت: فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به. وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي، ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ فقالوا. أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله".

وفي تفسير القرطبي(١٤/ ٣٥٢): "أي نؤمن بدل الكفر، ونطيع بدل المعصية، ونمتثل أمر الرسل".

(٢) في تفسير البيضاوي(٤/ ٤٢١): "يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسلم خبراً في إسناده بعض من يجب التثبت في نقله؛ قول من قال ذلك أربعون سنة؛ لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين.(١)

وقوله: ﴿وجاءكم النذير﴾ **اختلف أهل التأويل** في معنى النذير:

- فقال بعضهم: عنى به محمداً صلى الله عليه وسلم.

قال ابن زيد، في قوله: ﴿وجاءكم النذير﴾ قال: النذير: النبي وقرأ: ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾.

وقيل: عنى به الشيب(٢).

فتأويل الكلام إذن: أو لم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين، ما يتذكر فيه من تذكر، من ذوي الألباب والعقول، واتعظ منهم من اتعظ، وتاب من تاب، وجاءكم من الله منذر ينذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله، فلم تتذكروا مواعظ الله، و لم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فذوقوا فما للظالمين من نصير * إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ﴿فذوقوا﴾ نار عذاب جهنم الذي قد صليتموه أيها الكافرون بالله ﴿فما للظالمين من نصير﴾ يقول: فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها غضب الله بكفرهم بالله في الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه.

---

(١) قال القاسمي: "أوَ ما عشتم في الدنيا أعماراً ينتفع فيها من يتذكر ويتبصر؟ قال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة؛ فتعوذ بالله أن تغتر بطول العمر، وقد نزلت هذه الآية، وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة"!.

(٢) في روح المعاني(١١/ ٣٧٣): "وفي الأثر: ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها: استعدي فقد قرب الموت، ومن هنا قيل:

رأيت الشيب من نذر المنايا *** لصاحبه وحسبك من نذير

وقائلة: تخضَّب يا حبيبي *** وسوِّد شعر شيبك بالعبير

فقلت لها: المشيب نذير عمري *** ولست مسودا وجه النذير!

وقيل: النذير الحمّى، وقيل: موت الأهل والأقارب، وقيل: كمال العقل".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله: ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عالم ما تخفون أيها الناس في أنفسكم وتضمرونه، وما لم تضمروه ولم تنووه مما ستنوونه، وما هو غائب عن أبصاركم في السماوات والأرض، فاتقوه أن يطلع عليكم وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانية الله، أو في نبوة محمد غير الذي تبدونه بألسنتكم، ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾.(١)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا﴾.

يقول تعالى ذكره: الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود، ومن مضى من قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم.

عن قتادة، قوله: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أمة بعد أمة، وقرنا بعد قرن.(٢)

وقوله: ﴿فمن كفر فعليه كفره﴾ يقول تعالى ذكره: فمن كفر بالله منكم أيها الناس، فعلى نفسه ضر كفره، لا يضر بذلك غير نفسه؛ لأنه المعاقَب عليه دون غيره.(٣)

وقوله: ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً﴾ يقول تعالى: ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بُعداً من رحمة الله(٤) ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً﴾ يقول: ولا

---

(١) في البحر المحيط(٩/ ٣٧): "ومجيء هذه الجملة عقيب ما قبلها هو: أنه تعالى ذكر أن الكافرين يعذبون دائماً مدة كفرهم. كانت مدة يسيرة منقطعة، فأخبر أنه تعالى ﴿عالِمُ غَيْبِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يخفى عليه ما تنطوي عليه المصدور من المضمرات، وكان يعلم من الكافر أنه تمكن الكفر في قلبه، بحيث لو دام إلى الأبد ما آمن باللّه ولا عبده".

(٢) قال البغوي(٦/ ٤٢٥): "أي: يخلف بعضكم بعضاً، وقيل: جعلكم أمة خلفت من قبلها، ورأت فيمن قبلها ما ينبغي أن تعتبر به".

وفي نظم الدرر(٦/ ٢٣١): "وقال القشيري: أهل كل عصر خليفة عمن تقدمهم، فمِن قوم هم لسلفهم جمال، ومِن قوم هم أراذل وأنذال، الأفاضلُ: زمانُهم لهم محنة، والأراذل: هم لزمانهم محنة".

(٣) قال الزمخشري(٣/ ٦١٧): "فوبال كفره راجع عليه، وهو مقت اللّه الذي ليس وراءه خزي وصغار، وخسار الآخرة الذي ما بقي بعده خسار".

(٤) في التحرير والتنوير(٢٢/ ١٧٤): "والمقت: البغض مع خزي وصغار...وتركيب جملة: ﴿وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً﴾ تركيب عجيب؛ لأن ظاهره يقتضي أن الكافرين كانوا قبل الكفر ممقوتين عند الله، فلما كفروا زادهم كفرهم مقتاً عنده، في حال أن الكفر هو سبب مقت الله إياهم، ولو لم يكفروا لما مقتهم الله".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكاً.(١)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بيِّنة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قل﴾ يا محمد لمشركي قومك ﴿أرأيتم﴾ أيها القوم ﴿شركاءكم الذين تدعون من دون الله﴾ أي: تعبدون من دون الله(٢)، ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ يقول: أروني أي شيء خلقوا من الأرض، ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ يقول: أم لشركائكم شرك مع الله في السموات، إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئاً.

﴿أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه﴾. يقول: أم آتينا هؤلاء المشركين كتابا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام، ﴿فهم على بينة منه﴾، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بي؟!.(٣)

عن قتادة ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ لا شيء والله خلقوا منها ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ لا والله ما لهم فيها شرك ﴿أم آتيناهم كتابا فهم على بينة﴾ منه، يقول: أم آتيناهم كتابا فهو يأمرهم أن يشركوا.(٤)

---

(١) في مفاتيح الغيب(٢٦/ ٢٤٤): "أي الكفر لا ينفع عند اللّه حيث لا يزيد إلا المقت، ولا ينفعهم في أنفسهم حيث لا يفيدهم إلا الخسارة".

(٢) في مفاتيح الغيب(٢٦/ ٢٤٤-٢٤٥): "إنما أضاف الشركاء إليهم من حيث إن الأصنام في الحقيقة لم تكن شركاء للّه، وإنما هم جعلوها شركاء، فقال: شركاءكم، أي الشركاء بجعلكم، ويحتمل أن يقال: شركاءكم، أي شركاءكم في النار؛ لقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وهو قريب، ويحتمل أن يقال: هو بعيد؛ لاتفاق المفسرين على الأول".

(٣) في تفسير السعدي(ص٦٩١): "ثم ذكر الدليل السمعي، وأنه أيضا منتف؛ فلهذا قال: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾ يتكلم بما كانوا به يشركون، يأمرهم بالشرك وعبادة الأوثان. ﴿فَهُمْ﴾ في شركهم﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك؟ ليس الأمر كذلك".

(٤) في تفسير المراغي(٢٢/ ١٣٦): "والخلاصة: أعلمتم هذه الآلهة ما هي؟ وعلى أي حال هي؟ فإن كنتم تعلمون أنها عاجزة، فكيف تعبدونها، وإن كنتم توهمتم فيها القدرة فأروني أثرها"؟!.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله: ﴿بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً﴾ يقول تعالى ذكره: ليس من هذه الخلال شيء، ولكن ما يعد الكافرون بالله بعضهم بعضا إلا غرورا، وذلك قول بعضهم لبعض: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ خداعاً من بعضهم لبعض وغرورا، وإنما تزلفهم آلهتهم إلى النار، وتقصيهم من الله ورحمته.(١)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض﴾ لئلا تزولا من أماكنهما ﴿ولئن زالتا﴾ يقول: ولو زالتا ﴿إن أمسكهما من أحد من بعده﴾ يقول: ما أمسكهما أحد سواه.(٢)

ووضعت ﴿لئن﴾ في قوله: ﴿ولئن زالتا﴾ في موضع (لو)؛ لأنهما يجابان بجواب واحد، فيتشابهان في المعنى؛ ونظير ذلك قوله: ﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون﴾ بمعنى: ولو أرسلنا ريحا.(٣)

عن قتادة، قوله: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ من مكانهما.

عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: جاء رجل إلى عبد الله، فقال: من أين جئت؟ قال: من الشام، قال: من لقيت؟ قال: لقيت كعبا، فقال: ما حدثك كعب؟ قال: حدثني أن السماوات

---

(١) في روح المعاني(١١/ ٣٧٦): "لما نفى سبحانه ما نفي من الحجج في ذلك؛ أضرب عزّ وجلّ عنه بذكر ما حملهم على الشرك، وهو: تقرير الأسلاف للأخلاف، وإضلال الرؤساء للأتباع بأنهم شفعاء عند اللّه تعالى يشفعون لهم بالتقرب إليهم، والآية عند الكثير في عبَدة الأصنام، وحكمها عام". **قال السمعاني**(٤/ ٣٦٣): "والغرور كل ما يغر الإنسان مما لا أصل له".

(٢) في تفسير النسفي(٣/ ١٧١): "﴿مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾ من بعد إمساكه".

(٣) في التحرير والتنوير(٢٢/ ١٧٨): "انتقال من نفي أن يكون لشركائهم خلق أو شركة تصرف في الكائنات التي في السماء والأرض، إلى إثبات أنه تعالى هو القيوم على السماوات والأرض لتبقيا موجودتين، فهو الحافظ بقدرته نظام بقائها. وهذا الإمساك هو الذي يعبر عنه علم الهيئة بنظام الجاذبية بحيث لا يعتريه خلل".

وفي تفسير اللباب لابن عادل(١٦/ ١٥٢): "ويحتمل أن يقال: لما بين شركهم قال: مقتضى شركهم زوال السموات والأرض كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ...﴾ويؤيد هذا قوله في آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً" حليماً﴾: ما ترك تعذيبهم إلا حلماً منه وإلا كانوا يستحقون إسْقَاط السّماء وانطباق الأرض عليهم، وإنما أَخّر إزالة السموات لقيام الساعة حكماً". سمير: وإليه أشار النسفي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تدور على منكب ملك، قال: فصدقته أو كذبته؟ قال: ما صدقته ولا كذبته، قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها، وكذب كعب؛ إن الله يقول: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده﴾.

عن إبراهيم، قال: ذهب جندب البجلي إلى كعب الأحبار، فقدم عليه ثم رجع، فقال له عبد الله: حدثنا ما حدثك، فقال: حدثني أن السماء في قطب كقطب الرَّحا، والقطب عمود على منكب ملك، قال عبد الله: لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك؛ ثم قال: ما سكنت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه، ثم قال: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ كفى بها زوالا أن تدور.

وقوله: ﴿إنه كان حليما غفورا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان حليما عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له، غفوراً لذنوب من تاب منهم، وأناب إلى الإيمان به، والعمل بما يرضيه.(١)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا * استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم؛ يقول: أشد الإيمان، فبالغوا فيها؛ لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله ﴿ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ يقول: ليكونن أسلك لطريق الحق، وأشد قبولا لما يأتيهم به النذير من عند الله، من إحدى الأمم التي خلت من قبلهم؛(٢)﴿فلما جاءهم نذير﴾ يعني بالنذير: محمداً صلى الله

---

(١) في نظم الدرر(٦/ ٢٣٤): "أي ليس من شأنه المعاجلة بالعقوبة للعصاة؛ لأنه لا يستعجل إلا من يخاف الفوت فينتهز الفرص، ورغب في الإقلاع مشيراً إلى أنه ليس عنده ما عند حلماء البشر؛ من الضيق الحامل لهم على أنهم إذا غضبوا بعد طول الأناة لا يغفرون بقوله: ﴿غفوراً﴾ أي محاء لذنوب من رجع إليه، وأقبل بالاعتراف عليه، فلا يعاقبه ولا يعاتبه".

(٢) في النكت والعيون للماوردي(٤/ ٤٧٨): "﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمْ﴾ يعني ممن كذب الرسل من أهل الكتاب".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليه وسلم، يقول: فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم. وهو قول قتادة.(١)

وقوله: ﴿ما زادهم إلا نفوراً﴾ يقول: ما زادهم مجيء النذير من الإيمان بالله واتباع الحق، وسلوك هدى الطريق، إلا نفوراً وهرباً.(٢)

وقوله: ﴿استكبارا في الأرض﴾ يقول: نفروا استكبارا في الأرض وأنفة أن يقروا بنبوة محمد عليه السلام ويدعوا باتباعه، ﴿ومكر السيئ﴾ يقول: فعلوا ذلك استكبارا في الأرض، وخدعة سيئة، وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به، والمكر هاهنا: هو الشرك.

عن قتادة: ﴿ومكر السيئ﴾ وهو الشرك.

وأضيف المكر إلى السيئ، والسيئ من نعت المكر، كما قيل: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ وقيل: إن ذلك في قراءة عبد الله: (مكراً سيئاً)، وفي ذلك تحقيق القول الذي قلناه من أن السيئ في المعنى من نعت المكر.(٣)

وقوله: ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ يقول: ولا يترل المكر السيئ إلا بأهله، يعني بالذين يمكرونه؛ وإنما عنى أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون إلا بهم.

عن قتادة ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ وهو الشرك.(٤)

وقوله: ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين﴾ يقول تعالى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله في الأولين الذين مضوا قبلهم، وذلك إحلال الله بهم في عاجل

---

(١) قال البغوي(٦/ ٤٢٦): "يعني: كفار مكة لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم!، وأقسموا بالله وقالوا: لو أتانا رسول لنكونن أهدى ديناً منهم – وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم – فلما بعث محمد كذبوه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ...﴾".

(٢) في مفاتيح الغيب(٢٦/ ٢٤٦): "فإنهم قبل الرسالة كانوا كافرين باللّه، وبعدها صاروا كافرين باللّه ورسوله، ولأنهم قبل الرسالة ما كانوا معذبين كما صاروا بعد الرسالة".

(٣) في تفسير القرطبي(١٤/ ٣٥٨): "أي مكر العمل السيئ وهو: الكفر وخدع الضعفاء، وصدهم عن الإيمان ليكثر أتباعهم".

(٤) في روح المعاني(١١/ ٣٧٨): "وزعم بعضهم أن أصل (حاق): حق؛ فجيء بدل أحد المثلين بالألف نحو ذم وذام وزل وزال، وهذا من إرسال المثل". وفي تفسير الشيخ المراغي(٢٢/ ١٤٠): "وقد وقع مثل هذا في كلام العرب؛ فقد قالوا: من حفر لأخيه جبّا وقع فيه منكبّا، والعبرة في الأمور بالعواقب، واللّه يمهل ولا يهمل، ووراء الدنيا الآخرة".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدنيا على كفرهم به أليم العقاب يقول: فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم؟!

عن قتادة، قوله: ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين﴾ أي عقوبة الأولين.(١)

وقوله: ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا﴾ يقول: فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييراً.

وقوله: ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ يقول: ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلا؛ يقول: لن يغير ذلك، ولا يبدله؛ لأنه لا مرد لقضائه.(٢)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: أو لم يسر يا محمد هؤلاء المشركون بالله في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا، فإنهم تجار يسلكون طريق الشام ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الأمم التي كانوا يمرون بها، ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلا لمن بعدهم، فيتعظوا بهم، ويتزجروا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله؟ ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل - ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾ وبطشاً - لن يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة، والعذاب لهم؟.

عن قتادة ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾ يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم.(٣)

---

(١) قال السعدي(ص٦٩١): "فلم يبق لهم إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، الذي هو سنة اللّه في الأولين، التي لا تبدل ولا تغير، أن كل من سار في الظلم والعناد والاستكبار على العباد، أن يحل به نقمته، وتسلب عنه نعمته، فَلْيَتَرَقَّب هؤلاء، ما فعل بأولئك".

(٢) في تفسير اللباب لابن عادل(١/ ٤٢١٥): "فإن قيل: ما الحكمة في تكرار التبديل والتحويل؟ فالجواب: أن المراد بقوله:﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً﴾ حصول العلم بأن العذاب لا يبدل بغيره وبقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَحْوِيلاً﴾ حصول العلم بأن العذاب مع أنه لا يتبدل بالثواب لا يتحول عن مستحقه إلى غيره فيتم تهديد المُسِيءِ".

(٣) في التحرير والتنوير(٢٢/ ١٨٨): "عطف على جملة: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾استدلالا على أن مساواتهم للأولين تنذر بأن سيحل بهم ما حل بأولئك، من نوع من يشاهدونه من آثار استئصالهم في ديارهم. وجملة: ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ في موضع الحال، أي كان عاقبتهم الاضمحلال مع أنهم أشد قوة من هؤلاء فيكون

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله: ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض﴾ يقول تعالى ذكره: ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة، المكذبون محمدا فيسبقونا هربا في الأرض، إذا نحن أردنا هلاكهم، لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السموات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض.

وقوله: ﴿إنه كان عليما قديرا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان عليما بخلقه، وما هو كائن، ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة، ومن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى آيب، قديرا على الانتقام ممن شاء منهم، وتوفيق من أراد منهم للإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا﴾.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ولو يؤاخذ الله الناس يقول ولو يعاقب الله الناس، ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي، واجترحوا من الآثام، ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾ يعني: على ظهرها من دابة تدب عليها[1]، ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ يقول: ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده، محدود لا يقصرون دونه، ولا يجاوزونه إذا بلغوه.

عن قتادة ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ قال: قد فعل ذلك بهم في زمان نوح فأهلك ما على ظهرها من دابة، إلا ما حمل نوح في السفينة.

وقوله: ﴿فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا جاء أجل عقابهم، فإن الله كان بعباده بصيرا من الذي يستحق أن يعاقب منهم، ومن الذي يستوجب

استئصال هؤلاء أقرب".

(١) في البحر المحيط(٩/ ٤٣): "ولما كانت حاملة لمن عليها؛ استعير لها الظهر؛ كالدابة الحاملة للأثقال، ولأنه أيضا هو الظاهر بخلاف باطنها". وقال الشوكاني(٦/ ١٤٨): "من الدوابّ التي تدبّ كائنة ما كانت، أما بنو آدم فلذنوبهم، وأما غيرهم فلشؤم معاصي بني آدم. وقيل: المراد ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدبّ من بني آدم والجنّ".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكرامة، ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعا، ومن كان فيها به مشركا، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عليه علم شيء من أمرهم.(١)

(١) في مفاتيح الغيب(٢٦/ ٢٤٩): "﴿فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً﴾ تسلية للمؤمنين؛ وذلك لأنه تعالى لما قال: ﴿ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ﴾، وقال: ﴿لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ قال: فإذا جاء الهلاك فاللّه بالعباد بصير، إما أن ينجيهم أو يكون توفيهم تقريباً من اللّه لا تعذيباً...وقوله: ﴿بَصِيراً﴾ اللفظ أتم في التسلية من العليم وغيره؛ لأن البصير بالشيء الناظر إليه أولى بالإنجاء من العالم بحاله دون أن يراه واللّه أعلم".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المصادر والمراجع:

١- روح المعاني.
٢- التحرير والتنوير.
٣- تفسير الشعراوي.
٤- تفسير ابن كثير.
٥- تفسير السعدي
٦- تفسير القرطبي.
٧- تفسير القاسمي.
.
٩- فتح القدير.
١٠- تفسير البيضاوي.
١١- مفاتيح الغيب.
١٢- تفسير المنار.
١٣- جامع لطائف التفسير.
١٤- التفسير القيم لابن القيم.
١٥- تفسير البغوي.
١٦- تفسير الخازن.
١٧- أضواء البيان.
١٨- بصائر ذوى التمييز. للفيروزآبادي.
١٩- النكت والعيون.
٢٠- زاد المسير.
٢١- الكشاف.
٢٢- البحر المحيط.
٢٣- نظم الدرر.
٢٤- تفسير العز بن عبد السلام.
٢٥- الدر المصون.
٢٦- تفسير ابن عرفة.
٢٧- تفسير السمعاني.
٢٨- الدر المنثور.
٢٩- تفسير النسفي.
٣٠- تفسير المراغي.
٣١- تفسير اللباب لابن عادل.
٣٢- مجموع الفتاوى.
٣٣- إغاثة اللهفان.